بقلم : جون تولاند
ترجمة : موسى عبدالصمد سعدالله

بمناسبة مرور اربعين سنة على سقوط النازية

مؤتمر يالطا المصيري

القسم الاول

المقدمة :

لقد اطلعت على كتاب The last 100 days المئة يوم الاخيرة لمؤلفه John Toland فوجدته كتاباً شيقاً دقيقاً في وصفه ، فعزمت على ترجمة بعض من فصوله للقراء لما يضم بين دفتيه من فوائد تاريخية جمة ، وحاولت ان اتحاشى النقل الحرفي مااستطعت الى ذلك سبيلاً ، محافظاعلى مجمل تعابير المؤلف واسلوب عرضه ، تاركاً بعض التفاصيل المتعلقة بالمعارك العسكرية من غير اخلال بالقصة . ولعل القارىء الكريم سيلاحظ انه لم يحدث في التاريخ لمئة يوم أخرى ان اثرت بهذا الشكل المثير في نتائجها على مصير الملايين من البشر كما اثرت هذه الايام المئة الاخيرة قبل الحرب العالمية الثانية لعام 1945 . ففي خلال هذه الايام المئة مات روزفلت وهتلر وموسوليني ، واختفت الفاشية والنازية .

ومع أن المؤلف حاول ان يكون متجرداً على حيدة في ما كتب وان يسجل الحوادث كما هي ، الا انه يكتب كما لايخفى حسب وجهة النظر الغربية . ومما لاينكر انه بذل جهداً مضنياً وقابل الكثيرين من الاشخاص في اكثر من (21) بلداً ممن ساهموا في الاحداث التي وقعت واطلع على كثير من الوثائق وقرا كثيراً من المذكرات الشخصية ، والتقى اصحابها من القادة المساهمين في هذه المعارك مما اكسب الكتاب قيمة كبيرة .

على اني ساحاول مستقبلاً ان اقدم فصولاً اخرى من الكتاب . والى القارىء الكريم الموضوع المتعلق بمؤتمر يالطا المصيري وآمل ان يجد فيه من المتعة والفائدة مايرضيه .

قبل منتصف الليل بخمس دقائق من يوم 30 كانون الثاني 1945 حطت طائرة امريكية من نوع e 54 Sky Master من جزيرة مالطا ، وهي تحمل وينستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني مع كبار مستشاريه العسكريين والمدنيين لعقد اجتماع مع القادة الامريكيين تمهيداً لعقد مؤتمر يالطا بين الثلاثة الكبار ، ستالين ، روزفلت وتشرشل في شبه جزيرة القرم في الاتحاد السوفياتي ، وفي الساعة التاسعة وخمس وثلاثين دقيقة في الثاني من شباط عام 1945 عبرت الباخرة كوينسي حواجز الغام الغواصات لتدخل ميناء ڤاليتا عاصمة جزيرة مالطا حاملة الرئيس روزفلت وكبار مستشاريه ، في هذه الاثناء ظهر المستر تشرشل بزي البحرية وسيجارته المعهودة في فمه ، انها كانت لحظة تاريخية حقاً اذ ظهر روزفلت في مهابة وصمت وهو في اوج تألقه مبتسماً ومبتهجاً بهذا الاستقبال الرائع اذ احتشدت الجماهير على جانبي القناة لتحيته الا ان ازيز طائرات سبيناير التي كانت تحرس الطراد سرعان ماقطع الصمت ثم اطلقت المدافع محيية الرئيس وبدأت السفن الراسية تعزف الحان (العلم المرصع بالنجوم) The star stangled كا ن روزفلت يفكر لحظتئذ في ان الايام التالية ستتيح لهو ولزميليه فرصة قلما تجود بها الايام لخلق عالم جديد .

آثار تقادم العمر والاحساس بالآلام كانت بادية على محياه مع تصميم وعزم صادقين وعندما ودع السيدة روزفلت في واشنطن عبر عن امله الكبير بمؤتمر يالطا قائلاً لها انني سأعمل على تقوية العلاقات الشخصية مع المارشال ستالين وعلى الرغم من مرضه فقد كان مصمماً على خلق عالم يسوده السلام والعدالة . كانت العلاقة بينه وبين المستر تشرشل صميمية واخوية وعندما كانت بريطانيا في سنة 1940 في خطر مميت جازف روزفلت بمستقبله

السياسي بارساله مساعدات الاعادة والتأجير لها ، الا انه كان في خلاف مع المستر تشرشل ولا يطمئن الى تأكيداته بانه سوف يمنح الاستقلال الذاتي للحكومات المنضمة تحت لواء رابطة الشعوب البريطانية بل يريد ويؤكد على استقلال الشعوب ومن ضمنها شعوب الامبراطورية البريطانية .

وفي احدى المرات قال له المستر تشرشل على انفراد اظن أنك تحاول ان تقضي على الامبراطورية البريطانية أجابه روزفلت : لاريب في ذلك حيث ان النظام الاستعماري يعني الحرب . وقال لابنه اليوت (ان تستثمر موارد الهند وبورما وجاوا وان تأخذ كل ثرواتها الى خارج بلدانها ولا تترك لها شيئاً للتعليم ولمستوى حياة عادية . والحد الادنى المطلوب للصرف على رفع المستوى الصحي ، معنى ذلك انك تنكر جدوى اي نوع من التنظيمات السلمية قبل بدئها).

وقبل مغادرته امريكا متوجهاً الى يالطة طلب المشورة من برنارد باروخ Bernard Baruch فقد سلمه برنارد هذا رسالة قبل رحيله جاء فيها : ان الكتاب المقدس والتاريخ مليئان بالحديث عن البعثات التبشيرية لرجال عديدين حاولوا مساعدة اخوتهم من بني البشر . ولم يكن احد منهم يمتلك ماتملكه من الامكانات في مهمتك . انك لاتحمل امل العالم فحسب بل امامك فرصة لتحقق امنية الذين سبقوك في محاولاتهم وتخلق سلماً مثمراً ويجب ان تفيد من الاخطاء السابقة . ان بعثتك يجب ان تنجح . تحياتي ودعواتي واعتقد بانك لن تخفق في مهمتك) ، وكان روزفلت يطلب من سكرتيره ان يقرأ له هذه الرسالة قبل كل اجتماع يعقد في يالطا .

ثم قال لبرنارد اني لن أصحبك في السفر لأنك ستصاب بدوار البحر غير اني اعدك بانني لن اسطر فقرة من اية معاهدة للسلام دون ان تجلس بجانبي . وبعد الساعة الحادية عشرة من صباح الثاني من شباط قدم جورج مارشال تقريراً الى الرئيس روزفلت بعد ان كان قد اجتمع بأميرال الاسطول الامريكي ارنست كينك Ernest King وكانا قد صعقا حقاً لرؤيتهما الرئيس مضنى وبهذا الذبول استمع الرئيس اليهما باشتياق وهما يصفان بمرارة الاجتماع الذي جرى بينهما وبين هيئة الاركان البريطانية ورد فعل البريطانيين الشديد حول خطة ايزنهاور بعبور نهر الرين من قبل برادلي . طلب الرئيس خارطة وبعد الامعان فيها قال انه يعرف المنطقة جيداً حيث قام بسفرة بين بون وفرانكفورت بالدراجات فانه يؤيد الخطة من كل قلبه ودون ان يزعجا رئيسهما اكثر صافحاه وغادرا المكان . وقبل الظهر صعد المستر تشرشل الى الباخرة كوينسي مع ابنته ساره ووزيرا الخارجية المستر ايدن وعلى مائدة الغداء بدا رئيس الوزراء الذي لم يكن قد ابل من مرضه بما فيه الكفاية مسيطراً على المحادثات بذكائه وفطنته .

وفي احدى المناسبات اثار روزفلت موضوع عدم توقيع المستر تشرشل على وثيقة الاطلنطي قائلاً بلهجة مازحة ان رئيس الوزراء سيوقع الوثيقة لامحال ويعمل باخلاص لتحقيق ماورد فيها . فاجاب تشرشل انه حين قرأ تصريح الاستقلال وجد أنه يتضمن ماورد في وثيقة الاطلنطي ومن بعد ظهر اليوم نفسه قام الرئيس روزفلت وابنته برفقة الحاكم العام بجولة في الجزيرة . ولاول مرة التقى روزفلت وتشرشل هيئة الاركان المشتركة في جناح الضباط على الباخرة كوينسي في الساعة السادسة مساءاً وكالمعتاد كانت حصة الاسد من الحديث من نصيب المستر تشرشل ورزفلت يكتفي بايماءة من رأسه . كما ان مشكلة استراتيجية الجبهة الغربية المعقدة قد حلت بسهولة مدهشة عندما ابدى المستر تشرشل استعداده لقبول خطة ايزنهاور الا انه اثار نقطة واحدة باقتراحه تعيين الفيلد مارشال هارولد الكسندر الذي يقود قوات الحلفاء في ايطاليا نائباً للقائد العام ايزنهاور من جميع العمليات البرية الا ان القادة الامريكيين قالوا : لا ثم اقترح المستر تشرشل ان يقود مونتغمري معظم القطعات بعد عبورها نهر الراين ومرة اخرى قال الامريكيون : لا . ومع ان تشرشل اخفق في محاولتيه الا انه احتفظ بحرجه الى ان انفض الاجتماع وبعد ذلك اعلم جورج مارشال بان الرئيس روزفلت يطلبه وبعد حضوره قال له ان المسترتشرشل لايزال يصر على تعيين الكسندر نائباً لايزنهاور الا انه اجاب بانه لايستحسن هذا التعيين وانصرف . وفي الصباح الباكر كان برادلي من مدينة سيا Sha في بلجيكا مجتمعاًبقادة الجيوش الامريكية الاولى والثانية والثالثة والتاسعة كورتني هودجس Lieutenant General Courtney Hodges وجورج باتون George paton ووليم سيمبسون William M. Simpson لشرح خطة ايزنهاور لهم ، وعندما علموا بان مونتغمري سيقود الهجوم الرئسي وان الجيش التاسع العائد لسيمبسون سيبقى الرئسي تحت قيادة الفيلد مارشال مونتغمري كان رد فعلهم سلبياً كما كان الرئيس متوقعاً وفي الحقيقة كانوا قادة ذوي خبرة عالية وكفاءة ممتازة ومتلهفين

لسحق المانيا دون تأخير وبدأوا يستمعون الى بقية شرح برادلي بفزع متنام كلما استمر في شرحه ذلك ان هو دجس وباتون كان عليهما الاستمرار بهجومهم الحالي المحدود على خط سيغفريد [1] الى ان يبدأ مونتغمري بهجومه العام بيد ان باتون وهودجس انفجرا غضباً حيث قالا بان فرصتهما للوصول الى الراين افضل من القطعات البريطانية وكان من رأي باتون ان هذه طريقة حمقاء وحقيرة للامريكيين لانهاء الحرب وكانوا يرون بان كل فرقة مهما كانت رديئة يجب ان تهجم . لقد علم المستر تشرشل وايدن بان روزفلت يتجنب ان يتباحث معهما حول المسائل السياسية التي ستثار في مؤتمر يالطا ولهذا الغرض رتب عشاء مختصر ذاك المساء في الباخرة كوينزي لمعالجة هذا الموضوع وبعد العشاء شعر وزير الخارجية الامريكي ستاتينيوس Stettinius ان وجهات النظر الامريكية والبريطانية حول بولندا والامم المتحدة ومعاملتهما المانيا بعد الحرب اصبحت واضحة الا ان ايدن كان يشعر انه لم يتحقق اي شيء وكتب في مفكرته (لم نقترب من شيء وكنت قد تكلمت مع هاري هوپكنز بحدة بعد ما اتاني بعد العشاء قائلاً له باننا ذاهبون الى مؤتمر مصيري والى الآن لم نتفق على الموضوع الذي نناقشه وكيف نعالج المواضيع المطروحة على بساط البحث مع دب يعرف بالضبط ماذا يريد) .

كان اعتقاد ايدن بان الرئيس لايمكن التنبؤ بما سيتخذه من موقف وكذلك لم يكن تشرشل وايدن سهلين وفي الحقيقة لم تكن هناك مشاورات بمستوى القمة بين الامريكيين والبر يطانيين ، بعد العشاء ذهب تشرشل وروزفلت الى مار لوكا ليطيرا لمقابلة ستالين. ركب رئيس الوزراء طائرته من ذوات الاربع محركات سكاي ماستر وذهب الى الفراش اما الرئيس روزفلت فكان في كرسيه ذي الدواليب ووضع بمصعد الى الطائرة التي بنيت خصيصاً له وبكلفة عالية وجاءته المفاجئة بعد ركوبه الطائرة عندما قيل له ان الطائرة لن تغادر قبل خمس ساعات. كان الجو بارداً والسماء مرصعة بالنجوم عندما حلقت عشرون طائرة امريكية من نوع سكاي ماستر وخمس طائرات بريطانية من نوع يورك تحمل سبعمائة من المستشارين متجهة نحو يالطا . كان نظام التعتيم شديداً والاجراءات الاحترازية المتخذة استثنائية بسبب ورود تقارير الى المخابرات الامريكية تقول ان هتلر على علم ومعرفة تامة بمكان انعقاد مؤتمر الكبار الثلاثة وقبل ثلاث ليالي جرت محاولة تجريبية من قبل الكولونيل هنري مايرس ادت الى كارثة عند محاولته النزول في مطار ساكي في شبه جزيرة القرم اذ وجدت عدة ثقوب في طائرته ربما كانت الرياح الخلفية دفعته نحو جزيرة كريت التي كان الالمان يحتلونها او ان المواقع التركية اصابتها خطأ . وفي الساعة الحادية عشرة والنصف بينما كان الرذاذ البارد يهطل خفيفاً غادرت اولى الطائرات في رحلة لقطع ١٣٧٥ ميلاً نحو مطار ساكي في شبه جزيرة القرم وفي فترات منتظمة بدأت بقية الطائرات بالتحليق في طيران يستغرق ثلاث ساعات ونصفاً متوجهة اولاً بزاوية قدرها تسعون درجة الى الشمال لتجنب جزيرة كريت والابتعاد عنها في حين غادرت طائرة الرئيس روزفلت في الساعة الثالثة والنصف قبل طائرة رئيس الوزراء المستر تشرشل ، كما ان الطائرة التي لم تكن مخفورة ولا تشعل الضياء سرعان ما اختفت في رذاذ مظلم ومنذ ان اختفت اصوات محركات طائرة الرئيس لمدة سبع ساعات كان مصير الرئيس غير معروف حيث ان جميع الطائرات قطعت اتصالاتها اللاسلكية . انقضى نصف الطريق دون حادث يذكر ولكن بعد ان التحقت ست طائرات من نوع P38 بطائرة الرئيس روزفلت من نوع C-54 فوق جبال اليونان بدأ الجليد بالتراكم على اجنحة الطائرات السبع . احدى الطائرات من نوع P38 توقفت محركاتها ورجعت الى اثينا ولقد شغل بال رجال المخابرات بالجليد المتراكم وغمّهم الى درجة فكروا معها بايقاظ الرئيس من نومه وتكليفه بشد احزمة الامان الا ان الخطر سرعان مازال وبعد الظهر تماماً حسب وقت شبه جزيرة القرم والذي يتقدم بساعتين على وقت مالطة فتح النوتيه اللاسلكي واتصلوا بمطار ساكي حول كلمة السر : انه صديق ! وفي الساعة الثانية عشرة وعشرة دقائق لامست عجلة طائرة الرئيس ارض المطار ووقفت في نهاية مدرج المطار المغطى بالجليد وعندما اقتربت الطائرة من محل وقوفها لمحوا الجنود الروس بملابسهم الرسمية بادى الذكاء والنشاط يحيطون بجوانب المطار والمدافع جاهزة ونخبة من احد افواج الجيش الاحمر كانت في حالة الاستعداد بينما كانت فرق موسيقى الجيش تعزف الالحان العسكرية كما ان مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي والسفير الامريكي ايفريل هاريمان ووزير الخارجية الامريكي ستاتينيوس تقدموا لتهنئة الرئيس بسلامة الوصول ليبلغوه بان المارشال ستالين لم يصل الى شبه جزيرة القرم بعد . وفي الساعة الثالثة عشرة والنصف حطت في المطار طائرة رئيس الوزراء البريطاني تخفرها ست طائرات من نوع P385 حيث تقدم المستر تشرشل نحو طائرة الرئيس مراقباً

نزوله من الطائرة بوساطة الرافعة ثم وضع في جيب امريكي من قبل رئيس حرسه السري الخاص ميشائيل رايلى كما ان رئيس الشرف رحب بالرئيسين الغربيين القادمين ثم عزفت الموسيقى لحن (العلم المرصع بالنجوم) بعدها سارت السيارة بين صنوف الجند والمستر تشرشل يمشي مسرعاً وسيكاره بطول ثمان إنجات يبرز من فمه كمدفع صغير . وضع روزفلت في محفة بداخل سيارة لنقله الى يالطا التي كانت تبعد حوالى 75 ميلاً ولم تكن هناك وسائل نقل اخرى البته ومن مسافة كل مئة ياردة كان ثمة مسلحون بملابس مرتبة وستر شدت عليها الاحزمة وقسم يضع على راسه غطاء رأس استراخان وبعضهم ببيريات تعلوها اشرطة ذات الالوان الحمر والخضر والزرق وعند مرور سيارة ليموزين التي تقل الرئيس روزفلت كان كل حارس يؤد ي التحية بصورة سريعة ورشيقة ببندقيته ولقد تعلقت ابنة الرئيس بذراع ابيها وقالت باستغراب انظر ما اكثر النساء بينهم مشيرة الى الحراس وفي كل نقطة تقاطع او محطة كانت مجموعة من الفتيات بزي موحد وكل فتاة تحمل علماً احمر واصفر فاذا كانت الطريق آمنة اشرت الفتاة الممارسة بعلمها الاصفر نحو السيارة ثم تدس العلمين تحت ابطها وتؤدي التحية باليد اليمنى كل هذه الاجراءات ادخلت الطمأنينة الى قلوب الامريكيين حول سلامة رئيسهم . كان الثلث الاول من الطريق بدون اشجار مغطى بالثلوج الا ان الطريق كانت ملأى بالدبابات المهشمة والمساكن المحترقة والشاحنات المحطمة وغيرها من بقايا المعارك الطاحنة التي جرت في المنطقة .

وبعد اجتياز سيمفروبول Simferopol عاصمة القرم بدأ الطريق يتعرج نحو سلسلة جبلية متجهة نحو البحر الاسود ثم الى الجنوب محاذية الساحل بعدها مرت بمدينة يالطا في السادسة واستمرت نحو الجنوب حوالي الميلين الى ان وصلت السيارة الى قصر ليڤاديا والذي اتخذ مقراً للرئيس روزفلت وهو القصر الذي كان يحتوي على خمسين غرفة وكان قد صمم من قبل كراسنوف KARASNOV على طراز قصور عصر النهضة الايطالي وقد بنى هذا القصر في عهد القيصر نيقولا سنة 1911 على ارتفاع 150 قدماً من سطح البحر وهو من الكرافيت الابيض وكان القصر بالنسبة لستاتينيوس مثيراً ومنظره مع البحر يذكره دوماً بأجزاء من المحيط الهادي في الساحل الامريكي، كان قصر ليڤاديا اتخذ مصحاً للمسلولين من الطبقة العاملة بعد الثورة الا ان الالمان نهبوه بالكامل الى درجة انهم جردوه من لوحاته التي كانت تغطي جدرانه عدا لوحتين صغيرتين قرضتهما الحشرات وفي الايام العشرة السابقة وتحت اشراف كاثي Kathie كريمة السفير الامركي هاريمان ملأوا غرف القصر بالاثاث واللوازم واللوحات التي جلبت من فندق ميتربول من موسكو كما استقدموا مجموعة كبيرة من العمال المهرة من السماكرة والكهربائيين والصباغين لتصليح الشبابيك المحطمة والجدران المشوهة واعادة تشغيل التدفئة المركزية اما الامور الصحية فتركت للامريكيين حيث ان سفينة مساعدة رست في سواستبول وقامت بتعقيم القصر بصورة كاملة .

خصص جناح خاص للرئيس روزفلت في الطابق الاول مع غرفة خاصة للطعام كانت في وقت ما غرفة بليارد قيصر كما خصصت غرفة نوم ملكية فخمة للمارشال واعطيت غرفة نوم القيصرة للاميرال كينك King والتي اصبحت مدار تندر وتعليق زملائه لوقت طويل . مع كل هذه الرفاهية كان هناك لـ 216 أمريكياً مشكلة وهي ان الرئيس روزفلت كان له حمام خاص فقط اما الباقون فكانوا يستعملون الحمام المشترك ولطالما رأوا الخادمات الروسيات المسؤولات عن غرف النوم يدخلن الحمامات دون ان يستأذن بالدخول بطرق الباب كما هو معتاد غير مباليات لأرتباك الرجال الامريكان وفزعهم ، اما رئيس الوزراء المستر تشرشل فلم يترك المطار فوراً بل تبع مولوتوف الى خيمة بيضوية مدفأة حيث اعدت مائدة عامرة بالشاي الساخن والفودكا والبراندي وشامبانيا وقدور من الكافيار وسمك السالمون والحفش المدخن[8] مع البيض والزبدة والجبن والخبز .. الخ .

ان الرحلة الى يالطا استغرقت ضعف ماصرفه روزفلت من الوقت في رحلته إليها وبعد تناول بعض السندويشات التي جلبها بعض موظفي القيادة معهم توقف فريق المستر تشرشل في احدى القرى الساحلية الصغيرة المسماة الوشته Alushta شمالي يالطا حيث اعد غداء فخم من قبل مولوتوف . ومع ان البريطانيين كانوا قد تناولوا بعض ساندويشات كما اسلفنا الا انهم حاولوا ان يتظاهروا بالجوع وملأوا بطونهم الى حد الانفجار بعدها توجهوا نحو قصر ليڤاديا وعلى بعد ستة اميال منها كان قصر الامير يوسوبوف الذي اغتال راسبوتين حيث كان من المقرر ان ينزل فيه ستالين واستمروا في سيرهم الى الجنوب نحو اربعة اميال اخرى حيث مقر اقامة تشرشل والوفد البريطاني في قصر فورونتسوف

Vorontsov ومع انه لم يكن بفخامة وسعة قصر ليڤاديا الا انه كان مرفهاً وتتوفر فيه كل وسائل الراحة . كان يشبه قلاع الاسكتلنديين من بعض الوجوه والقصور المغربية من وجوه اخرى تحيط بمداخله رسوم الاسود المحفورة . وفي غرف الطعام لمح المستر تشرشل صورة معلقة قال انها مألوفة لديه وانه رآها من قبل . قالها للقائد تومپسون وفي الحقيقة انها كانت صورة عائلية لهيربرت Herbert وكان تشرشل قد رآها في ويلتون اذ كانت اخت فورنتسوف قد تزوجت من واحد من عائلة هيربرت . ان جميع الاثاث واللوحات المزينة لحيطانه قد جلبت الى هذا القصر من موسكو كما كان الحال في قصر ليڤاديا وعندما دخل الجنرال هاستينكس اسمى Hastings Ismay رئيس هيئة أركان المستر تشرشل القصر لمح خادمين عرفهما حيث كانا يخدمانه في فندق ناسيونال في موسكو وعندما تجاهلا ابتسامته الدالة على معرفة لهما استغرب من تصرفهما ولكن ذات مرة وعندما كان وحيداً معهما ركعا وقبلا يديه ونهضا مسرعين وغادرا دون ان يتفوها بكلمة .

في عشية المؤتمر الذي كان معداً ليقرر مصير المانيا الهتلرية كان النازيون انفسهم لايزالون يحاكمون الرجال الذين حاولوا قبل مدة وفشلوا في اغتيال هتلر وانهاء الرايخ الثالث . ان محكمة الشعب قد ادانت مئات المتهمين الذين ساهموا في مؤامرة قنبلة 20 تموز التي وضعت تحت منضدة هتلر وكان من بين المتهمين حاكم لايبزيك السابق وانه هو الذي كتب رسالة سرية الى جنرالات الالمان سنة 1943 ورد فيها (انه لخطأ كبير ان يعتقد المرء بان القوة المعنوية للشعب الالماني قد استنفذت والحقيقة انها وهنت عن عمد والامل الوحيد هو التخلص من السرية واشاعة الرعب ... يجب ان يسود العدل وان تشكل حكومة محترمة لانعاش روح الامل والمعنوية العالية بين ابناء الشعب ويجب ان لاتتزعزع ثقتنا بان الشعب الالماني يريد العدل والعيش بشرف ويحب الحقيقة الصادقة لمستقبله كما كانوا في الماضي وكما كان الامر في الماضي ايضاً ان بعض عناصر الفساد والانحلال غير الراغبين في تحقيق هذه الاماني يجب ان يكبح جماحهم بقوة قانون الدولة وان الحل العملي يكمن في خلق الظروف حتى وا ن كانت لمدة اربع وعشرين ساعة لقول الحقيقة ولتثبيت الثقة بان العدالة ستسود وان حكومة عادلة ستتحقق) . وفي قصر ليفاديا قضى الرئيس روزفلت ليلة هانئة وهو يتهيأ لافتتاح المؤتمر . وفي صباح اليوم التالي التقى مع مستشاريه العسكريين في الشرفة المشمسة المطلة على البحر ، ان الاميرال ليلى كان من رأيه تخويل الجنرال ايزنهاور كامل الصلاحية للاتصال المباشر بهيئة اركان السوفيات اما المارشال فاشار الى ان الاتصال عن طريق القيادة الموحدة كما يلح عليه البريطانيون لم يعد عملياً اذ ان ذلك يستغرق وقتاً طويلاً وان الروس هم على بعد 40 ميلاً من برلين .

ان القادة المجتمعين كانوا على وشك مغادرة الشرفة حين دخل السفير هاريمان ووزير الخارجية ستاتينيوس مع ثلاثة آخرين هم فريمن دوك ماتيوس Freeman Doc Mathews وشارلس جيب بوهلر Charles chib Bohler والكرهيس Alger Hiss ولقد اصر ستاتينيوس على القادة المجتمعين ان يبقوا ليسمعوا الموقف السياسي ، ولقد عدد وزير الخارجية المواضيع التي يعتقد بان على الثلاثة الكبار اخذها بنظر الاعتبار في محادثاتهم واهمها المسألة البولندية وتأسيس هيئة الامم المتحدة ومعاملة المانيا بعد الحرب وتسوية الخلافات بين العبثيين والشيوعيين منهم ، والشخص الوحيد الذي لم يساهم في المناقشة هو Hiss [9] ، لقد اتفق الرئيس روزفلت مع اعضاء الوفد الامريكي على ان حكومة لوبلن لايمكن الاعتراف بها وطلب اعداد مذكرة حول بولندا لتقدم الى المستر تشرشل والمارشال ستالين . وفي الصباح الباكر من ذلك اليوم كان ستالين قد وصل قادماً من موسكو بعد رحلة طويلة ومتعبة بالقطار وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر وهو في طريقه الى الاجتماع الاول المزمع عقده في قصر ليفاديا توقف في قصر فورنتسوف ليقوم بزيارة مجاملة للمستر تشرشل وابدى تفاؤله بشأن الحرب اذ كانت المانيا آنئذ تعاني من نقص كبير في الفحم والخبز وان نظام مواصلاتها على شفا انهيار وتعطل . سأله تشرشل ماذا تفعل اذا ما تحرك هتلر نحو الجنوب الى درسدن مثلاً ؟ اجابه ستالين سنتعقبه ، ثم اضاف لم يعد نهر اودر عائقاً . ان هتلر قتل خيرة جنرالاته رمياً بالرصاص عدا غودريان وانه مغامر ، فان النازيين ارتكبوا حماقة كبرى بتركهم احدى عشرة فرقة مدرعة حول بودابست انهم لم يدركوا بان المانيا لم تعد قوة عالمية وان ليس في مقدورهم وضع القوات الكافية في كل مكان ، سيفهمون ذلك بعد مدة واختتم قوله متهجماً ولكن بعد فوات الاوان ثم استأذن وتوجه نحو قصر ليفاديا في سيارته السوداء

الكبيرة من نوع باكارد Packard يرافقه مولوتوف ومترجم ليرحب بالرئيس روزفلت وليقدم تحياته بسلامة الوصول . كان الوقت الآن بلغ الرابعة والربع مساءاً ولم يبق لموعد انعقاد المؤتمر إلا خمس واربعون دقيقة حيث استقبله الرئيس روزفلت ومعه بوهلن الذي كان يتكلم الروسية بطلاقة وهو الامريكي الوحيد مع الرئيس وبعد ان شكر ستالين على الجهود الكبيرة المبذولة لتأمين راحته قال مازحاً ان في رحلته البحرية عقدت مراهنات كثيرة . أيصل الروس برلين قبل وصول الامريكان الى مانيلا أجاب ستالين ان الأمريكان ربما وصلوا الى هدفهم قبلاً لأنه في الوقت الحاضر تجري معارك عنيفة على خط اودر . قال روزفلت لستالين لقد اذهلني الدمار الذي شاهدته في طريقي الى يالطا حول شبه جزيرة القرم والذي جعلني اكثر تعطشاً لدماء الالمان عماكانت عليه قبلاً . اتمنى ان نقترح ايضاً شرب نخب اعدام خمسين الف ضابط الماني . اجاب ستالين ان كل فرد هو اكثر تعطشاً لدماء الالمان وان التخريبات في القرم لايعتبر شيئاً بالمقارنة مع ماحصل في اوكرانيا، ان الالمان وحوش ويظهر انهم يكرهون بحقد سادي العمل الخلاق للجنس البشري . وبعد مناقشة قصيرة حول الوضع العسكري سأل روزفلت ستالين كيف جرى العمل مع الجنرال ديغول عند لقائه معكم في كانون الاول الماضي في موسكو . اجاب ستالين : لم اجد ديغول شخصية معقدة ولكنني اشعر بانه ليس واقعياً ، ان فرنسا لم تقدم في هذه الحرب الشيء الكثير ومع ذلك تطالب بكل الحقوق كالبريطانيين والامريكيين والروس الذين تحملوا عبء الحرب .

في هذه الاثناء افشى روزفلت لستالين سراً اذ قال له : في كاسابلانكا قارن ديغول نفسه مع جان دارك ، ومعلوم بان روزفلت لم يكن يحب القائد الفرنسي ويعتبره ضرورة مزعجة . استحسن ستالين هذه النادرة من روزفلت وبدأ يبتسم . فبينما كان ستالين كيساً مع تشرشل اصبح متعاطفاً ورضياً مع روزفلت وفي الحقيقة انهما بدءا يتبادلان الثقة . أخبر روزفلت ستالين ان هناك اشاعة حديثه بان فرنسا لاتنوي الحاق اية مقاطعة المانية اليها بل تريدها تحت الحماية الدولية ، هز ستالين رأسه وكرر ماقاله ديغول له في موسكو ان نهر الراين هو الحد الطبيعي لفرنسا ويطلب بقاء القوات الفرنسية هناك بصورة دائمة .

هذا التبادل في الرأي قد اكد ثقة روزفلت واعلن بانه سيقول شيئاً طائشاً لايقوله امام تشرشل . يريد البريطانيون بعد الحرب ان تبقى قوة مكونة من مائتي الف جندي فرنسي على الجبهة الشرقية لفرنسا هذه القوة التي تستطيع ان تصد اي هجوم من المانيا بينما تقوم بريطانيا بتجميع جيوشها وترحل ، ان البريطانيين لقوم محيرون حقاً ثم قال منتقداً انهم يريدون ان تهيء طعامهم الى حد وضعه في افواههم .

كان ستالين كله اذناً صاغية عندما استمر روزفلت يصف الصعوبات التي واجهته مع البريطانيين حول مناطق الاحتلال في المانيا . هنا سأل ستالين الرئيس روزفلت : هل تعتقد بأن فرنسا يجب ان تكون لها منطقة احتلال؟ أجاب روزفلت : انها ليست فكرة رديئة .

لاحظ الرئيس ان الساعة تشير الى الخامسة الا ثلاث دقائق فاقترح الانتقال الى غرفة المؤتمر المجاورة حيث كانت هيئة الاركان العسكرية للثلاثة الكبار مجتمعة ، واراد روزفلت ان يجد اقل عدد ممكن من الناس عند حضوره وهكذا تدحرج بعربته الى الغرفة الواسعة التي كان يستعملها قيصر نيقولا قاعة مآدب ورقص وعند وصوله الى منضدة المؤتمر المدورة الكبيرة رفع نفسه وجلس على كرسي وبجانبه مترجمه بوهلن .

اما المصورون العسكريون فبدأوا بالتقاط الصور لستالين وتشرشل وستاتينيوس وايدن ومولوتوف ومارشال وبروك وغيرهم من القادة العسكريين والسياسيين والمترجمين عند احتلالهم اماكنهم . كما ان المستشارين اتخذوا اماكنهم خلف رؤسائهم وكان مجموع الحاضرين عشرة من الامريكيين وثمانية من البريطانيين وعشرة من الروس حول المائدة الرئيسية المخصصة للمؤتمر المؤتمر المصيري الذي سيبدأ حالاً : ان اهمية ماهم مقدمون عليه اذهلتهم جميعاً اذ بدأ بعضهم يسعل بعصبية وآخرون ينظفون بلاعيمهم .

الهوامش :

1 ـ كان الالمان يسمونه الجدار الغربي .
2 ـ وهو نوع من السمك يستخرج منه الكافيار .
3 ـ كان الاعتقاد السائد مؤخراً وعلى نطاق واسع بان هيس كان جاسوساً روسياً ولقد الح على روزفلت ان يقدم تنازلات لستالين في يالطا ، الا انه لم يكن هناك من دليل على انه قدم نصائح من هذا القبيل اثناء المؤتمر للرئيس روزفلت أو الى احد مستشاريه .